ذرية ابراهيم عليهم السلام

والمسجد الأقصى

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأمة المسلمة

قبل بعثة محمد ﷺ

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

ذرية ابراهيم عليهم السلام

والمسجد الأقصى

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة

الأستاذة المساعدة بقسم التاريخ الإسلامي
« طالبات » كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ش.م.م - المنصورة

التوزيع : شارع البحر أمام كلية الطب . ت : ٣٤٧٤٢٣

المطابع : شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب - عمارة الوفاء

ت : ٣٤٢٧٢١ - ٠ . ب : ٢٣٠ - تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFAUN

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * **إياك نعبد** وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

ونشهد أن لا إله إلا الله الأحد الصمد . الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولىٌّ من الذى وكبره تكبيرا . الله الذى خلقكم ، ثم رزقكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون .

ونشهد أن أفضل خلق الله ، وأحبهم إلى الله ، وأصدقهم عبودية لله ، وأعرفهم بحقوق الربوبية ، وأحرصهم على أدائها كاملة غير منقوصة ولا مشوبة بأى شائبة ، وأحقهم – لذلك و ﴿ الله أعلم حيث يضع رسالته ﴾ – بأن يكون خاتم المرسلين ، وإمام المهتدين ، وأن يكون رسولا للناس أجمعين ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وهو أجدرهم أن يحمل عن ربه أثقل الأمانات ، وأن يبعثه رب العالمين بأجمع الرسالات ، لإصلاح الإنسانية كلها ، وشفائها من كل أمراضها وعللها الروحية والعقلية : الفردية والاجتماعية ، من كل الألوان فى جميع الأحوال والبلدان والأزمان ، ذلك هو عبد الله رسوله ومصطفاه : محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

المقدمـــة

نماذج من التشويه والتزييف الذى تعرض له تاريخ الأنبياء والرسل (إبراهيم وذريته) – عليهم السلام – على يد اليهود قديما وعلى يد المستشرقين ومن سار على نهجهم حديثا .

لم تعرف البشرية صورا من صور الإجرام ، كما عرفتها ممثلة فى اليهود من بنى البشر ، وأفجر صورة من صور هذا الإجرام اليهودى هى محاولة اليهود صبغ إجرامهم بالصبغة الشرعية وقد سلكوا فى ذلك مسالك شتى ، أخطرها هى افتراؤهم الكذب على الله عز وجل ، ورسله وأنبيائه عليهم السلام . هذا الافتراء يتمثل فى :

أولا – نسبة أنفسهم إلى أنبياء كرام هم إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى ، وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام ، زاعمين أن هؤلاء الأنبياء الذين عاشوا على أرض فلسطين كانوا يهودا .

ثانيا – تأليف كتاب زعموا فيه أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كانوا يهودا ، وأن إبراهيم هو أبو العبرانيين وهو جد اليهود الأعلى . هذا الكتاب أطلقوا عليه اسم التوراة[1] ، وزعموا أنها التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام من عند الله عز وجل .

---

(١) « إن بنى إسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة » حديث حسن رواه الطبرانى فى الكبير ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، تأليف محمد ناصر الدين الألبانى ، المجلد الثانى ، ص ٩١ حديث رقم ٢٠٤٠ – ٨٩٨ .

ثالثا – أنهم بانتسابهم إلى هؤلاء الأنبياء ، فإنهم قد ورثوا عنهم عقيدتهم وهى اليهودية ، كما ورثوا عنهم أرض فلسطين لأنها أرض الميعاد التى وعد الله بها عبده إبراهيم وذريته من.

رابعا – ولما كان سمت الإجرام البارز فى اليهود هو القتل بغير الحق وأكل أموال الناس بالباطل ، وجمع الأموال عن طريق الزنا والسكر والعربدة ، فقد نسب اليهود فى توراتهم التى ألفوها إلى الله صفات يتنزه عنها الله عز وجل ، ونسبت إلى الأنبياء والرسل صفات يتنزهون عنها ، فقد صورت البعض على أنه سكير ، وصورت البعض على أنه زان ، وصورت البعض أنه سفاك دماء ، إلى غير ذلك من الصفات التى لا تتناسب وجلال النبوة والرسالة .

خامسا – تزييف أحداث التاريخ ومناهجها وكتبها وتشويهها بصورة تخدم أهداف اليهود ، فى القتل والإفساد فى الأرض بغير الحق ، وإخراج الناس من ديارهم ، وسلب أموال الشعوب وثرواتها .

سادسا – افتراء الكذب على الله عز وجل ، ومن هذا زعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، وأن الله قد اصطفاهم من بنى البشر لكى يكونوا سادة ، وجعل مَنْ دونهم عبيدا لهم وخدما أو حميرا أو جوييما .

سابعا – إن الكثير من أبناء العرب والمسلمين قد عالجوا بعض الموضوعات التاريخية متبنين وجهة النظر اليهودية – بقصد أو بدون قصد – إذ أنهم قد وافقوا اليهود على أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كانوا يهودا ، وحينما عالجوا موضوعا كموضوع اغتصاب أرض الإسراء والمعراج مثلا ، تبرأوا من هؤلاء الأنبياء المسلمين – ظنا منهم – وهذا من عدم الفهم – أنهم أنبياء يهود[1] فعلا ، وأن اليهود من أصلابهم ، وينتسبون إليهم ، وهذا كله وهم وباطل كما سنرى بإذن الله .

---

(١) سياسة الاستعمار الصهيونية ، المجلد الأول ، ص ٤ وما بعدها ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

وسنعرض سويا لبعض افتراءات العهد القديم أو ما يسمونها التوراة ، ثم التلمود على ذات الله ورسله وأنبيائه عليهم السلام ، كما سنعرض نماذج لبعض المراجع التى عالجت تاريخ الأنبياء ، والرسل من وجهة النظر اليهودية التوراتية .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم :

﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب ، وكُلاً هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكُلاً فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾[1] .

الفصل الأول

الجـزء الأول

أولا – دراسة العهد القديم (ما تسمى بالتوارة) :

هل يمكن أن يتعب الله ، وأن يأخذه الإعياء بعد عمل ما ؟

القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال ﴿ أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ؟ بلى إنه على كل شىء قدير ﴾[1] .

ومن البداءة أن يكون الخلاق الكبير فوق الإجهاد ، وذهاب القوة ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤُدُه حفظهما وهو العلى العظيم ﴾[2] .

ولذلك يقول مثبتا هذه الحقيقة : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾[3] .

لكن العهد القديم يذهب غير المذهب ، ويصف الله فيقول : (وفرغ الله فى اليوم السادس من عمله فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمل الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمله الله خالقا)[4] .

---

(١) الأحقاف ٣٣ .

(٢) البقرة ٢٥٥ ؛ هذا العرض مأخوذ نصا عن : قذائف الحق ص١١ وما بعدها . تأليف الشيخ محمد الغزالى .

(٣) ق : ٣٨ .

(٤) سفر التكوين ، الإصحاح الثاني

ودعك من الركاكة التى صيغت بها هذه العبارات ، فقد يكون المترجم هابط الأسلوب فى التعبير عن معنى ما ، لكنك لا تستطيع أن تفهم معنى آخر من هذا الكلام ، إلا أن الله (استراح) من جميع أعماله فى اليوم السابع ، هذه الأعمال التى أداها بوصفه خالقا .

واليهود يحرمون العمل يوم السبت ، ويقدسونه ، وجاء فى التوراة أن موسى أمر بأن يقتل رجما أحد الحطابين الذين أبوا إلا الكدح فى هذا اليوم ؟ .

كيف جرى الحديث عن الله بهذه الكلمات ؟ لعلها غلطة ناقل ، لكن الحديث عن عجز الله تبعه حديث آخر عن جهله ؟؟ .

واسمع إلى وصف العهد القديم لآدم وزوجه بعدما أكلا من الشجرة :

(وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ ..)[1] .

ما هذا ؟ كأنّ الإله يتمشى فى الجنة خالى البال مما حدث ، ثم تكشفت له الأمور شيئا فشيئا فعرف أن آدم خالف عهده ، وأكل من الشجرة المحرمة .

تصوير ساذج يبدو فيه رب العالمين وكأنه فلاح وقع فى حقله مالم ينتظر .

ما أبعد الشقة بين هذا التصوير وبين وصف الله لنفسه فى القرآن العظيم ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾[2] ، ﴿ وما تكوُن فى شأنٍ وما تتلوا مِنْه مِنْ قرآن ولا تعملون من عملٍ

(١) سفر التكوين الإصحاح الثالث .
(٢) ق : ١٦ .

إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾[1]

وقد أعقب هذا (الجهل الإلهى) قلق غريب ، فإن الله يبدر وكأن ملكه مهدد بهذا التمرد الآدمى .

لقد أكل آدم من الشجرة – شجرة المعرفة – وارتفع بهذا العصيان إلى مصاف الآلهة فقد أدرك الخير والشر ، وكان الرب عندما خلقه حريصا على بقائه جاهلا بهما .

ومن يدرى ربما ازداد تمرده وأكل من شجرة الخلد وظفر بالخلود ، إنه عندئذ سوف ينازع الله حقه ، إذن فليطرد قبل استفحال أمره .

جاء فى العهد القديم :

(وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا ، عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل فى الأرض التى أخذ منها ، وطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)[2] ..

لكن سيرة آدم وأبنائه على ظهر الأرض لم تكن مرضية لله إن منهجه فى الحياة ضل بالآثام والمتاعب ، ولم يكن الله حين خلقه يعرف أنه سيكون شريرا إلى هذا الحد ، لقد فوجىء بما وقع ، ومن أجل ذلك حزن الرب وتأسف فى قلبه أن خلق آدم وأبناء آدم ... قال العهد القديم :

(فحزن الزب أنه عمل الإنسان ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب إنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، ... الإنسان مع بهائم

---

(١) يونس : ٦١

(٢) التكوين : الإصحاح الثالث .

ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت إنى عملتهم ..)[1] .

الحق أننى أدهش كل الدهشة للطفولة الغريرة التى تنضح من هذا الحديث الخرافى عن الله عز وجل .

إن الإله فى هذه السياقات الصبيانية كائن قاصر .. متقلب ... ضعيف .

وما أشك فى أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنية عن حقيقة الألوهية وما ينبغى لها ..

وأول ما نستبعده حين نقرأ هذه العبارات أن تكون وحيا أو شبه وحى ..

ومع ذلك فإن اليهود والنصارى يقدسون ذلك الكلام ، ويقول أحد القساوسة : (الكتاب المقدس – يعنى العهدين معا – هو صوت الجالس على العرش ، كل سفر من أسفاره أو إصحاح من إصحاحاته أو آية من آياته هو حديث نطق به الكائن الأعلى) .

والمرء لا يسعه إلا أن يستغرق فى الضحك وهو يسمع هذا الكلام ؟ أنه إله أبله هذا الذى ينزل وحيا يصف فيه نفسه بالجهل والضعف والطيش والندم .

ونحن المسلمين نعتقد أن الكتاب النازل على موسى برىء من هذا اللغو ، أما التوراة الحالية فهى تأليف بشرى سيطرت عليه أمور ثلاثة :

الأول – وصف الله بما لا ينبغى أن يوصف به ، وإسقاط صور ذهنية معتلة على ذاته (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) .

الثانى – إبراز بنى إسرائيل وكأنهم محور العالم ، وإكسير الحياة ، وغاية الوجود ... فهم الشعب المختار للسيادة والقيادة ، لايجوز أن ينازعوا فى ذلك .

الثالث – تحقير الأمم الأخرى ، وإرخاص حقوقها ، وإلحاق أشنع الأوصاف بها وبأنبيائها وقادتها .

---

(١) التكوين : الإصحاح السادس .

وقد تتخلل هذه الأمور بقايا من الوحى الصادق ، والتوجيهات المبرأة ، بيد أن الأسفار الشائعة الآن تغلب عليها الصبغة التى لاحظناها .

وها نحن أولاء نسوق الأدلة على ما قلنا مكتفين بالشواهد من سفر التكوين وحده ، لأن الانتقال إلى غيره يطيل حبل الحديث .

فى هذا السفر أعلن الله ندمه على إغراق الأرض بالطوفان وقال لنوح : لن أرتكب هذه الفعلة مرة أخرى ؟ وسأضع علامة تذكرنى بذلك حتى لا أعاود إهلاك الحياة والأحياء ، وهاك النص :

(وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا .... أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الفيضان ، ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض ، وقال الله ، هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر ، وضعت قوسى فى السحاب فتتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض ، فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب .. فمتى كان القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض ...)[1] .

هذا هو التفسير لقوس قزح ، وتحلل اللون الأبيض إلى عناصره المعروفة بألوان الطيف ، كما شرح ذلك علماء الطبيعة .. قوس قزح هى قوس الله يبرزها فى الأفق إشارة إلى العهد الذى أخذه على نفسه كى لا يغرق الأرض مرة أخرى ، إنه يرى هذه القوس فيتذكر ، حتى لا يتورط فى طوفان آخر ؟؟ .

وأيا ما كان الأمر فإن وصف الله بالضيق لما ارتكب من إغراق الأرض ، وتعهده ألا يفعل ذلك ، أمر يليق بالخلق لا بالخالق ... بالناس لا برب الناس .

على أن هذه القصة أيسر من دعوة الله إلى ضيافة نبيه إبراهيم ، لقد قدم الله فى شكل رجل مع اثنين من ملائكته ، وأقام لهم إبراهيم وليمة دسمة ، فأكلوا منها جميعا ؟ .

---

(١) الإصحاح التاسع من سفر التكوين .

وكان إبراهيم حريصا على إحراز هذا الشرف ، شرف أن يأكل الله فى بيته ، فلما لبى الله الدعوة أسرع الرجل الكريم فى إعداد مائدة مناسبة ، وهاك القصة من سفر التكوين :

(وظهر له الرب ... ونظر وإذا ثلاثة رجال ... وقال يا سيد (يقصد الله) إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك .. فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال اعجنى واصنعى خبز ملة ، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ، ووضعها قدامهم ، وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا . وقالوا له :.. ويكون لسارة امرأتك ابن ... فضحكت سارة فى باطنها قائلة : بعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ ؟ فقال الرب لإبراهيم : لماذا ضحكت سارة ... ؟ هل يستحيل على الرب شىء ؟)[1] .

ونتجاوز هذه المائدة الدسمة التى أكل منها الرب وملائكته لنقف بإزاء قصة أخرى من أغرب وأفجر ما اختلق الروائيون ؟؟

القصة الجديدة تحكى مصارعة بين « الله » وعبده « يعقوب » .

.. وهذه المصارعة دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها لولا أن الطرف الآخر فى المصارعة – وهو الله ؟؟ – لجأ إلى حيلة غير رياضية هزم بعدها يعقوب ! .

ومع ذلك فإن يعقوب تشبث بالله وأبى أن يطلقه حتى نال منه لقب « إسرائيل » ؟؟ .

ومنحه الله هذا (اللقب الفخرى) ثم تركه ليصعد إلى العرش ، ويدبر أمر السماء والأرض ، بعد تلك المصارعة الرهيبة .

أى سخف هذا ، وأى هزل ؟؟ .

أى عقل مريض أوحى بهذا القصص السفيه ؟؟ .

---

(١) الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين .

ولكن اليهود يريدون أن يرفعوا مكانة جدهم الأعلى ولا عليهم أن يختلقوا ما يستغربه الخيال ، وهاك القصة بأحرفها من سفر التكوين :

(فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال : أطلقنى ؟ .. فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى ؟ فقال له : ما اسمك ؟ فقال يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل .. وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باسمك فقال:، لماذا تسأل عن إسمى ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان « فينيئل » قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى ... لذلك لا يأكل بنو إسرائيل « عرق النسا » الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه (الله) ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء ..)[1] .

.. نعم تخليدا لذكرى هذه المصارعة نشأ حكم فقهى بتحريم العمل يوم الراحة الإلهية .

وكم يفخر اليهود إذ كان أبوهم بهذه المثابة من القوة التى عاجزت الإله ، وكادت توقع به الهزيمة ؟؟ .

وهنا ننتقل إلى « الأمر الثانى » فى بناء التوراة وهو :

* إفراد بنى إسرائيل بالنسب العريق ، والعلاقة الفذة على حساب غيرهم من الأمم .

... اليهود يكرهون العرب كما يكرهون غيرهم من الأجناس الأخرى فيجب أن تعتمد هذه الكراهية على أساس دينى يصبح العرب بعده ملعونين فى الأرض والسماء ..

فكيف يتوصلون إلى هذا الغرض ؟

إنهم يثبتون قصة طريفة يزعمون فيها أن نوحا نبى الله والمدافع الأول عن

---

(١) سفر التكوين : الإصحاح ٣٢ .

دينه والناجى بأهله من الطوفان الطام العام هذا النبى سكر من كثرة ما أفرط فى شرب الخمر ثم استلقى على الأرض كاشفا سوأته ، وأن أحد أبنائه رآه كذلك فضحك منه وشهر به .

فلما أفاق نوح من سكرته ، وعلم بما وقع ، لم يخجل من نفسه وتبذله ، بل استنزل لعنة الله على من سخر منه ، وهاك النص :

(وشرب – يعنى نوح – من الخمر فسكر وتعرى فى خبائه فأبصر – حام – أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا ، فأخذ – سام – و – يافث – الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، فلما استيقظ (نوح) من خمره علم ما فعل ابنه الصغير ، فقال : ملعون – كنعان – عبد العبيد يكون لأخوته ، وقال مبارك الرب إله – سام – وليكن كنعان عبدا لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن – كنعان – عبدا لهم ...)[1] .

يقول – عصام الدين ناصف – : ومعنى ما تقدم أن الإسرائيليين الساميين يريدون أن يتخذوا الكنعانيين عبيدا لهم ، وقد كان العدل والمنطق يقتضيان ذلك النبى الجليل ألا يصب تلك اللعنة الحامية على حفيده البرىء – كنعان – بل يصبها على ابنه الخاطىء – حام – وأنى له ذلك والكنعانيون هم المقصودون بأعيانهم لأنهم أصحاب فلسطين التى لبث الإسرائيليون دهورا يحلمون بها ويتوقون إلى غشيان مروجها الزاهرة وجنى زروعها الناضرة) .

أى أن مؤلف التوراة مهتم بتزكية بنى إسرائيل على حساب تجريح غيرهم ، ومن ثم استنزل اللعنة على كنعان ، حتى تبقى الشعوب المنسوبة إليه فى منزلة زرية .

ولا بأس من اختلاق سبب لهذه اللعنة تذهب فيه كرامة نبى ومكانته .

إذن فليشرب نوح الخمر حتى يفقد وعيه ويكشف عورته .

---

(١) تكوين : إصحاح ٩ .

ثم ليدع على حفيده بما دعا به ، والحفيد المسكين لا جريرة له .

المهم أن الكنعانيين أصبحوا جنسا ملعونا لأن دعوة – السكران – مستجابة ؟؟

وكما رأى كاتب التوراة أن يسكر نوحا ليصل إلى هذه النتيجة رأى أن يسكر لوطا ليصل إلى نتيجة مشابهة .

إن تلويث الأنبياء شيء سهل على من هونوا الألوهية نفسها ولكن مزور العهد القديم هنا بلغ من الإسفاف دركا سحيقا ، فهو لم يكتف بأن جعل لوطا سكيرا بل جعله عاهرا .

وبمن يزنى ؟ بابنتيه ، إحداهما بعد الأخرى ، فى ليلتين حمراوين ، وهاك النص :

(... فسكن – يعنى لوط – فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس على الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا ؟.؟. فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت مع أبى . نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه . وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ، ودعت اسمه (مؤاب) وهو أبو المؤابين إلى اليوم)[1] .

يقول عضام الدين حفنى ناصف (وهذا هو مربط الفرس) لقد عرف شعبا موآب وبنى عمون بصلابة الرأس ، وصعوبة المراس .

وما انفكا منذ القدم ينصبان لحرب بنى إسرائيل ويدحرانهم وينزلان بهم أكبر الخسائر .

---

(١) تكوين : إصحاح ١٩ .

فوجب على كتاب التوراة أن يتلقحوا[1] عليهما ويطلقوا ألسنتهم فى أعراضهما ويلصقوا بهما أقبح المثالب) ...

وفى سبيل ذلك لا حرج على اليهود أن يسيئوا إلى نبى كريم ، وأن ينسبوا إليه وإلى ابنتيه ما يتورع عنه الحشاشون والرعاع .

المهم عندهم أن يجرحوا أعداءهم ، وأن يسقطوا أنسابهم وأن يعتمدوا فى ذلك على وحى سماوى معصوم ، لا يجرؤ على تكذيبه أحد .

﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[2] .

يقول عصام الدين حفنى ناصف : (وصفوة القول إن كتاب التوراة لم يدونوا هذه القصص المسلسلة اعتباطا ، بل إنهم ابتدعوها ورتبوها ليضلوا بها إلى غاية لهم وضعوها نصب أعينهم ، هى أن الله خلق الكون من أجل الأرض ، وخلق الأرض من أجل بنى آدم ، وأنه أباد بنى آدم وقطع دابرهم ماعدا نوحا وبنى نوح ، واستبقى هؤلاء ليختار من بينهم ساما ثم يختار من حفدته إسرائيل وبنى إسرائيل) .

ولقد آمن بنو إسرائيل بهذه الخزعبلات ، وانتفخت أوداجهم غرورا وتبجحا فتوهموا أنهم شعب مقدس .

جاء فى سفر التثنية هذا النص (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك ، فتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)[3] .

وهذ الاعتداد القوى بالجنس والنسب هون عند اليهود كثيرا من القيم والفضائل ، فإن اطمأنانهم إلى شرف الأرومة ، ونبل الجرثومة جعلهم لا يبالون شيئا عندما

---

(١) أى يرمون الناس بالباطل .
(٢) آل عمران : ٧٨ .
(٣) تثنية : ٧ ، ٦ .

يقولون أو يفعلون ، فهم – على أية حال – « الأسباط » أولاد الأنبياء ، وحلية الدنيا .

ولا بأس عندهم من اقتراف الدنايا ، أو افترائها مادام ذلك يحقق ما يشتهون ، والغاية تبرر الوسيلة .

ولقد نظرت إلى قصصهم عن زيارة إبراهيم الخليل لمصر فرأيتهم بسهولة يصفون الرجل الكبير بأنه ديوث ، وفى سبيل حرصه على الحياة والمنافع الدنيئة يقدم امرأته إلى من يملكون النفع والضر ..

والتحقت زوجة إبراهيم ببيت فرعون الذى أهداه فى نظير ذلك بعض الغنم والحمير ؟؟

قبحكم الله ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾[1] كان إنسانا يساوى الألوف من الرجال ، وفى سبيل الله حارب الوثنية وحطم الأصنام وتعرض لنيران الجحيم ، وربى جيلا من الموحدين الحراص على مرضاة الله .

فهل هذا الرجل هو الذى يغرى امرأته بالذهاب إلى بيت فرعون من أجل الظفر بزريبة غاصة بالغنم والحمير ؟؟ لكن كاتب التوراة لم ير فى ذلك حرجا ، وهاك النص :

(.. وحدث لما قرب – أى إبرام – إلى مصر أنه قال لسارای امرأته ، إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلوننى ويستبقونك . قولى : إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك .

فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إلى إبرام خيرا بسببها ، وصار له غنم ، وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة ... فدعا فرعون إبرام

---

(١) النحل : ١٢٠ .

وقال : ما هذا الذى صنعت بى ، لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك ؟ ... خذها واذهب)[1] .

ولنتجاوز هذه القصة الهابطة إلى قصة أخرى عن يعقوب نفسه الأب المباشر لليهود ، والذى أخذ لقب إسرائيل بعد معركة حامية مع الله نفسه ظلت ليلا طويلا والذى سمى اليهود دولتهم القائمة على أنقاض العرب باسمه .

إن هذا النبى عندنا نحن المسلمين إنسان جليل نبيل شارك أباه فى الدعوة إلى الله ، ونبذ الوثنية ورفع علم التوحيد وإقامة الملة السمحة ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ .

لكنه عند اليهود شخص محتال ، سرق النبوة من أخيه البكر بطريقة منحطة .

ويظهر أن الفكر اليهودى يحسب النبوة ميراثا دنيويا يمكن الاستيلاء عليه بالشطارة والمهارة ، وليست هبة عُلْيَا يمنحها رب العالمين من يصطفيهم من أهل الطهارة والنضارة .

وكان اليهود يخصون الابن البكر بالتركة كلها مادية كانت أو أدبية وعلى هذا كان – عيسو – الابن الأكبر لإسحاق هو الذى سيرث اللقب والمال – مثلما كان يحكم القانون الإنجليزى – ولكن أم يعقوب تفاهمت مع ولدها على غير هذا ، وانتهزت أن – عيسو – خرج ليحضر الطعام إلى أبيه المكفوف ثم نفذت خطتها ، وهاك التفاصيل كما رواها سفر التكوين .. تفاصيل سرقة نبوة ..

(... وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه ، فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيدا ليأتى به ، وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة : إنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا : ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى ، فالآن يا بنى اسمع لقولى فيما أنا آمرك به ،

---

(١) تكوين : ٢١ .